التصوف و أعلامه وغاياته في العصر العبا سي - الدرس رقم 13

تعريف التصوف:

في العصر العباسي الأول بدأت بذور التصوف تزهر كمقدمات لظهور نوعين من التصوف التصوف الذي يعتمد الزهد الفاسد و هو الذي يدعو الى متاع الدنيا و يرغب فيها واستباحة كل ما هو محرم من الفواحش و الموبقات و الانحلال الأخلاقي و مع ذلك ظهر في العصر العباسي الأول نوعين من الزهد:

1-الزهد الأول إسلامي:

يحاول تذكير الناس بالجنة و متاعها و زخرف الدنيا الزائل كما يذكر العابدين التائبين بالثواب العظيم..

2- **الزهد الثاني:**

يدعو الى الزندقة و الترغيب في ملذات الحياة و الترغيب فيما حرم الله.

تعريف التصوف:

لغة: ورد مفهوم التصوف في المعاجم اللغوية تحت **مادة- صوف** – على عدة معان منها إطلاق كلمة صوف على الصوف المعروف من شعر الحيوانات في قوله تعالى: **ومن أصوافها و أوبارها و أشعارها أثاثا ومتاعا الى حين** [1]'

ويقول **الطوسي** مؤكدا أن: الصوفية عندي نسبوا الى ظهر اللباس ولم ينسبوا الى نوع من أنواع العلوم والأحوال التي هم بها متمرسون، لأن لبس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام، والصدقين وشعار المساكين المتسكعين "[2]

وقيا أن الصوفية ينسبون الى صفاء الجوارح و السريرة و انشراح صدورهم و ضياء قلوبهم ، لكن الكثير من التعريفات اللغوية بمفهوم التصوف لم تستطيع توحيد المصطلح لغويا.

التصوف في الاصطلاح:

التصوف في المفاهيم التي لم يتفق علي تعريفها لغة واصطلاحا ، فمن الصعب أن نحصر تعريفا جامعا للتصوف ، لأن التصوف مر بالعديد من الأدوار و المراحل و التغيرات و قال فيه الجرجاني "هو علم القلوب الذي يبحث في أحوال النفس الباطنية ، ويسعى الى تصفية القلوب و الطهر و التجرد ، ويؤدي الى الاتصال بالعالم العلوي."[3]

و يعد أقرب تعريف لمفهوم التصوف هو تعريف ابن خلدون قائلا هو : "العكوف على العبادة و الانقطاع الى الله تعالى و الإعراض عن زخرف الدنيا و الزهد فيها يقبل عليه الجمهور من لذة و مال و جاه و الانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة"[4]

---

[1] - سورة النحل : الآية 80.

[2] - الطوسي: اللمع تح، عبد الحليم محمود ، و طه عبد الباقي سرور، دار الكتاب الحديثة- بمصر، مكتبة المتنبي ، بغداد د، ط، 1380ه/1960م، ص41.

[3] - الجرجاني: التعريفات، طبعة حلبي، القاهرة- مصر -د.ط 1938م، ص46.

[4] - ابن خلدون: المقدمة، دار القلم ، ط5، 1419ه/1984م، ص467.

أهم أعلامه:

ظهرت مجموعة من الزهاد منهم الحسن البصري المتوفي 110ه ومالك بن دينار المتوفي131ه، وإبراهيم الأدهم المتوفي161هو غيرهم و ظهرت فئة تسمى بالبكائين لفرط بكائهم على ما اقترفوه من ذنوب طمعا في نيل العفو و المغفرة من عند الله و تقربا لله، وكانت هذه الحركة الزهدية تتميز بالمبالغة في التعبد و التقرب الى الله و شدة العناية بالناحية الأخلاقية ، فكان أول ظهور للصوفية في البصرة وبعد الفتح الإسلامي بدأ المسلمون في الاختلاط بشعوب وثقافات مختلفة و انغمسوا في حياة الترف مما أدى الى ظهور فئات كانت تنبذ هذا الاختلاط و الإسراف في تدني الأخلاقيات و إراقة الدماء مما جعل فئة منهم ينعزلون عن كل هذه المظاهر الاجتماعية وفضلوا اللجوء الى أماكن بعيدة تربطهم بخلوة مع الله والتقرب اليه ، ولكن ليس الكل يرى التصوف هكذا بنفس النظرة فمنهم من زهد في الدنيا زهدا فاسدا لإرضاء بعض غرائزه و لإرضاء نفسه .

مراحل التصوف:

المرحلة الأولى:

في القرنين الأول والثاني الهجريين هي مرحلة الزهد نشأت تحت تأثير عوامل إسلامية صرفة وكان السبب نشأته سببان:

الأول:

تعاليم الإسلام والتي منبعها القرآن و السنة و التي تدعوا الى الزهد و التبتل والعبادة وقيام الليل.

الثاني:

اتساع الرقعة الجغرافية الإسلامية و ما نتج عنها من بذخ و ترف و الاختلاط الأجناسي و الثقافي مما أدى الى اثارة حفيظة المسلمين الذين اعتزلوا هذه الحياة الفارهة و الماجنة واراقة الدماء ، تعففا كالصحابة حيث ظهر الزهاد فيهم ويعد الحسن البصري أول رمز يمثل هذه الحركة.

المرحلة الثانية:

القرنين الثالث و الرابع الهجريين تطور الزهد لم يعد فرديا بل أصبح عبارة عن حركات تتحدث في مواضيع كثيرة كالسلوك و المقامات والأحوال و المعرفة و مناهجها، والتوحيد و الفناء وهناك نوعين من التصوف كما ذكرنا سالفا

تصوف سني يتفيد بالكتاب والسنة و تصوف فلسفي يمتزج فيه الذوق بالنظر العقلي فأصبح التصوف يتحدث في بعض الأمور الفلسفية التي لا تتفق مع الدين و الشريعة مما أثار عليهم أهل السنة دون المساس بالتصوف الذي تعرض لتشدد بعض الفقهاء و ظهر الخلاف على حقيقته بين فقهاء البصرة و الكوفة و متصوفيها ثم تلته سلسة من الاضطهادات في مصر و الشام أدت الى مقتل الحلاج.

وفي القرن الخامس الهجري حاول الامام الغزالي ارجاع التصوف الى حقيقته الفاضلة التي تخدم الإسلام السني و له كتاب موسوم ب "إحياء علوم الدين" مصدرا للتصوف السني.

المرحلة الثالثة: في القرنين السادس و السابع الهجريين ظهر التصوف الفلسفي و انتشر بكثرة نتيجة تأثره بالفلسفة اليونانية و الفارسية و الهندية والمسيحية حتى أصيب جراء ذلك المتصوفة بنوع من التهور و

التدهور فلم يضيفوا جديدا الا بتكرار لمن سبقوهم من الأقدمين و السبب في ذلك هو لما تعرضت له الصوفية من اضطهاد.